الباب الثاني

١ - كيف نشأت فكرة تكوين حركة تحرير أرتريا؟

٢ - لماذا حددت الحركة طبيعتها بالسرية؟

٣- المراحل التي حددتها الحركة لتنفيذ الثورة الإنقلابية.

٤ - الثورة الإنقلابية.

obeikan.com

obeikan.com

الباب الثاني

١- كيف نشأت فكرة تكوين حركة تحرير ارتريا؟

في الباب الحادي عشر وبعنوان (حركة تحرير ارتريا والحزب الشيوعي السوداني) ذكرت كيف نقلت قناعتي لقيادة الحزب الفرعية في بور تسودان والتي لم تجد لديهم قبولاً. ولكن قبل ذلك بسنوات وعندما كنت أقوم بزيارة سنوية لارتريا لتقصى الحقائق فأننا لم نكن نفكر بتشكيل حركة جديدة. ولكن الفكرة التي كانت لدينا هي إقناع الزعماء السياسيين الذين ناضلوا من أجل الاستقلال أثناء عرض القضية الأرترية في الأمم المتحدة، لكي يحولوا نشاطهم إلى عمل سرى بعد أن حظرت أثيوبيا أنشطة الأحزاب السياسية التي كانت قائمة آنذاك على أن نقوم نحن في أوساط الجاليات الأرترية في الخارج بتنفيذ ما يكلفوننا به لدعم ومساندة نضالهم في الداخل.

كان رفيقي في تلك المحاولات هو الأخ أدريس محمد حسن قنشره والذي كانت تعود زمالتنا واهتماماتنا ومناقشاتنا حول ارتريا إلى زمن الدراسة. وكنا نتبادل الأخبار والمعلومات التي كنا نستقيها من أفواه القادمين من ارتريا. وأذكر عندما زار السيد إبراهيم سلطان مدينة بور تسودان وهو عائد من الحج في طريقة إلى ارتريا وذلك في عام ١٩٥٤م ونزل بدار الشيخ أدم شيباي في (ديم طردونا) ذهبت ومعي إدريس محمد حسن لزيارته هناك حيث وجدنا جمعاً كبيراً من مواطني المدينة ذوى الأصول الأرتريه يحيطون به وهم جالسون على الأرض وهو جالس وسطهم فوق سرير عال. أخذنا مكاننا بين الجالسين على الأرض ونحن نستمع لحديث إبراهيم سلطان

والذي كان يتحدث عن الإنجاز الكبير الذي حققوه وهو الفيدرالية. وعندما انتهي من حديثه وجهت إليه سؤالاً: ألا تخشون بأن الأثيوبيين سيحولون الفيدرالية إلى استعمار؟ ولم يكن رده مقنعاً لي لأن إجابته كانت على النحو التالي: ماذا تظن؟ (إننا قد تعلمنا فنون القتال. وحتى عندما يقوم أي أثيوبي بإلقاء قنبلة يدوية باتجاه أي منا فإننا نتلقفها قبل أن تصل إلى الأرض ونقذفها باتجاهه لتنفجر في وجهه). عندئذ همست لزميلي إدريس الذي كان جالساً بجانبي (دعنا ننصرف). وعندما أصبحنا في الطريق سألته: هل أجاب السيد إبراهيم سلطان على سؤالي؟ فأجابني بالنفي وسألته ثانية ماذا فهمت من رده خاصة وأنني لم أتحدث عن قتال أو قنبلة يدوية؟ فأجابني بأنه لم يفهم شيئاً.

وبعدها وصل فريق (عدوليس) الرياضي من استمرا ليلعب مع الفرق الرياضية بمدينة بورتسودان وكان ذلك في عام ١٩٥٧م. وعندها قمنا بملازمة الفريق في مكان نزوله حيث كان ينزل بحوش السيدة مريم الميرغنية. وكنا نظل طوال النهار والليل برفقتهم ولا نغادرهم إلا وقت النوم أو عندما يذهبون إلى دار الرياضية. وهناك نكون جالسين بين المتفرجين لتشجيعهم. وكنا طوال ذلك الوقت نتعرف عليهم فرداً فرداً ونأخذ عناوينهم في اسمرا وكذلك نتبادل معهم الصور التذكارية. كما كنا من المشاركين في عمل حفل تكريمي للفريق الذي أقيم في فندق البحر الأحمر. وكانت مهمتنا الأساسية في كل مقابلاتنا بهم هي مناقشتهم حول الأوضاع السياسية في أرتريا، وخوفنا من زوال الفيدرالية ليحل محلها الاستعمار الأثيوبي المباشر. ومن جانبهم كانوا شباباً متفتحين يستجيبون لآرائنا. وعند مغادرتهم أعطيت كتاب (الأم) لمكسيم جوركي باللغة الإنجليزية للأخ (تكؤ يحدقو) والذي كان ضمن الفريق ومعه كحساي بهلبي حيث وطدنا علاقتنا بهما. وحمل الأخ تكؤ الكتاب معه إلى اسمرا.

وبعدها كان تكؤ يحدقو وكحساي بهلبي من أوائل من انتظم في صفوف حركة تحرير ارتريا بأسمرا عند تأسيسها.

كان كل ذلك قبل التفكير في عمل محدد، ولكن كان يحركنا القلق والخوف على مصير ارتريا. وعليه عندما بدأنا محاولاتنا مع الزعماء السياسيين كما ذكرت فإننا كنا نفكر بدور داعم لما هو موجود في الداخل. إلا أن فكرتنا لم تجد قبولاً لديهم. كما وجدنا بعض المقابلات الجافة. بل تردداً وتخوفاً من الفكرة بحكم الإرهاب الذي كانت تنشره أثيوبيا. وبعد آخر محاولة قمت بها ومعي الأخ إدريس محمد حسن حيث دخل كل منا إلى ارتريا بطريقته الخاصة، عدنا لبورتسودان لتبادل التقارير. ولكن النتيجة بالنسبة له ولي كانت عدم التوفيق.

عندما قررنا أن نشرع في تأسيس الحركة بطريقتنا الخاصة وأن نأخذ زمام المبادرة لنؤكد للجميع بأن أثيوبيا ومهما امتلكت من أجهزة تجسسية وسلطات قمعية إلا أنه بمقدورنا أن نتحدى كل ذلك لإننا أصحاب قضية عادلة. كان ذلك قرارنا. وعلى الفور بدأت في وضع اللائحة والقسم والبرنامج، ثم بدأنا بعرض الفكرة على من كنا نثق به من إخواننا الأرتريين. وعندما اكتمل العدد ليبلغ سبعة أشخاص عقدنا الاجتماع التأسيسي الأول. وعقد أول اجتماع للمؤسسين في منزلي ببور تسودان بحي الترنسيت وذلك في ٢/ ١١/ ١٩٥٨م الساعة الثالثة عصراً.

ففي بداية الاجتماع وضعنا المصحف أمامنا، ثم وضعت يدي فوق المصحف. ووضع الآخرون أياديهم فوق يدي ثم تلوناً القسم. وكان الحضور يتكون من محمد سعيد ناود- إدريس محمد حسن- حسن الحاد إدريس- عثمان محمد عثمان- ياسين محمد صالح عقده- محمد الحسن عثمان محموده- صالح أحمد اياي- حبيب قعص.

وعند انفضاض الاجتماع كنا ممتلئين نشوّة حيث بدأنا الخطوة الأولى في طريق حرية ارتريا واستقلالها والذي كنا متأكدين بأننا سنصل إلى نهايته بالنجاح. ثم انطلقنا في التجنيد لتشكيل الخلايا في مدينة بورتسودان كخطوة أولى وذلك في أوساط الجالية الأرترية.

اسم الحركة

في الفترة التي تأسست فيها حركة تحرير ارتريا كانت هناك في الجزائر (جبهة التحرير الجزائرية). ولذا فإن اسم (الجبهة) كان جذاباً ولا معاً ومرغوباً. وقد أجرينا مناقشة قبل الاجتماع التأسيسي عن الاسم المقترح للتنظيم الذي ننوي تأسيسه. وقد استبعدنا منذ البداية اسم الجبهة لأن مفهومنا كان: أن الجبهة وحسب ما هو متعارف عليه، تمثل في النهاية تجمعاً لعدة أحزاب ذات توجهات فكرية وأيدولوجية مختلفة. وأنها تتشكل لتحقيق غاية محددة ولفترة زمنية، ثم بعد ذلك فمن حق أي حزب أن يترك الجبهة ليعمل بشكل مستقل. أما من جانبنا فقد كنا نرى أن التنظيم الذي ننوى تأسيسه لا ينطبق عليه تعريف التجمعات الفكرية والحزبية. وأن الاسم يجب أن يكون له مدلول ومعنى محدد. فلقد كان لنا هدف محدد وهو (تحرير ارتريا). ولذا وقع اختيارنا على تسمية (حركة تحرير ارتريا) وعند تكوين الحركة كان هناك الزميل تسفاي وهو من أوائل من التحقوا بالحركة عند تأسيسها ببور تسودان. ولذا طلبنا منه ترجمة الاسم إلى اللغة التجرينية. وقام بترجمته إلى (قدلى حرنت ارتريا) وبالإنجليزية Eritrean Liberation Movement.

ولقد حدث التباس لدى البعض في فترة ما حيث كانوا يعتقدون بأن (محبر شوعتى) أي (التنظيم السباعي) يختلف عن (حركة تحرير ارتريا) وهو تنظيم آخر. فمن أين جاءت تسمية (محبر شوعتي) أي (التنظيم السباعي)؟؟

أن قسم المباحث الجنائية Criminal Investigation Department بالشرطة الأرترية آنذاك والذي كان خاضعاً آنذاك تماماً للمخابرات الأثيوبية، أن هذا القسم هو الذي أطلق تسمية (محبر شوعتى) أي التنظيم السباعي على حركة تحرير ارتريا. ومناسبة هذه التسمية أنهم عندما كانوا يقومون باعتقال أي من أعضاء الحركة فإنه لم يكن يعرف سوى أسماء أعضاء تشكيلته السباعية التي ينتمي إليها، وذلك بحكم السرية التامة التي كانت تسود عمل الحركة، وأن أعضائها لم يكونوا يعرفون بعضهم البعض. وكل من كان يتم اعتقاله فقد كان يتعرض لتعذيب جسدي فوق طاقة البشر. وأي معتقل إذا ضعف ولم يتحمل التعذيب وأعترف بأسماء أعضاء تشكيلته فإنه كان لا يستطع الاعتراف إلا بأسماء هؤلاء السبعة الذين يعرفهم. وعندما تكررت هذه الحالة لدى قسم المباحث الجنائية فقد أطلقوا على التنظيم تسمية (محبر شوعتى) أي التنظيم السباعي. فانتشر الاسم وشاع وبالذات في داخل ارتريا حتى كاد أن يطغي على الاسم الحقيقي والأصلي للحركة. أيضاً أن المخابرات الأثيوبية بدأت بعد ذلك تبحث في كل مكان عن تنظيم (محبر شوعتى).

لذا فقد لزم التنبيه بأن محبر شوعتى أي التنظيم السباعي هو حركة تحرير ارتريا وبالتجريني (قدلى حرنت ارتريا).

شعار الحركة

من البداية حددت حركة تحرير ارتريا شعارها بـ(الشعلة) ومن المعروف أن الشعلة ترمز إلى الحرية. وبما أن الحركة كانت تعمل وتناضل من أجل الوطن الأرتري فإنها اختارت (الشعلة) كشعار لها. وفي عدد من المطبوعات التي أصدرتها الحركة يجد القارئ هذا الرمز.

٢- لماذا حددت الحركة طبيعتها بالسرية؟

أن تعريفنا لطبيعة الحركة (بالسرية) واختيارنا للأسلوب السري في عملنا لم يكن نقلاً حرفياً لتجربة الحزب الشيوعي السوداني كما يتراءي للبعض بل كانت تلك تجربة ارترية بحته وكتعامل طبيعي مع واقع كنا نعيشه. فلو كانت حرية التعبير متاحة لما كنا لجأنا للأسلوب السري. فنحن كنا نتعامل مع دولة بوليسية. وكل الدول البوليسية هي التي تفرض اللجوء إلى العمل السري للتعبير عن التطلعات. فالشعوب لن تسكت عن حقوقها أو تتنازل عنها ومن الخير لأي حكومة أن تفسح المجال لمواطنيها ليعبروا عن رأيهم والإفساح عن تطلعاتهم والاستماع إليهم. أما إذا لجأت لتكميم الأفواه فلن يكون هناك سوى خيار العمل السري. وهذا ما كان قد جرى بالنسبة لنا.

لذا فإن الأسلوب السرى في طبيعة الحركة وفي عملنا فرضه علينا الواقع الذي كانت تعيشه ارتريا في ظل السلطات الأثيوبية القمعية التي كممت الأفواه، ومنعت كل أنواع الحريات من تعبير واجتماع وتشكيل الأحزاب السياسية والنقابات العمالية، واختارت طريقاً وحيداً للتعامل مع الشعب الأرتري وهو الاعتقالات والسجون والمطاردات والتشريد والتعذيب الجسدي. وكانت تعتقد بأن أسلوب نشر الإرهاب والخوف في صفوف الشعب من شأنه أن يجعل من هذا الشعب يستكين لها. وكل أجهزة الدولة كانت آنذاك مسخرة ومشغولة بمتابعة المواطنين ومراقبتهم ومعرفة ما يدور في أوساطهم وحتى في مجالسهم الخاصة.

أما العامل الثاني الذي فرض علينا السرية في عملنا منذ بدايته، فيعود إلى أن الحركة صادف ميلادها انقلاب الجنرال إبراهيم عبود في السودان.

وكان نظام إبراهيم عبود منذ قيامه وحتى سقوطه معادياً للارتريين كقضية

وكثورة. وكان العامل الثالث لاختيارنا العمل السري هي فكرة (الثورة الانقلابية) التي تبنيناها لتحقيق هدفنا وهو الاستقلال. وكان من أهم شروط نجاحها السرية المطلقة في عملنا.

وتمشيا مع الطبيعة السرية للحركة فقد كان اختيارنا للعضوية دقيقاً للغاية وكل عضو يتم ترشيحه لكي ينال العضوية كان يتم فحصه بدقة والتأكد من عدم وجود أي علاقات له بالسلطة الأثيوبية وبأجهزتها التجسسية. وسيراً على النهج السري فإن الحركة ابتدعت الأسماء السرية المستعارة لكل أعضائها دون استثناء. فكل من كان يتم تجنيده يختار اسماً سرياً غير اسمه الحقيقي. ويكون معروفاً بهذا الاسم في محاضر الاجتماعات وحتى في الرسائل والمكاتبات التنظيمية الداخلية.

وناود كان معروفاً باسم (رمضان عيسي) وعندما كشف هذا الاسم تم تغييره إلى (مصطفي) وكلا الاسمين معروفان حتى اليوم لدى الكثيرين من أعضاء الحركة. كما أن هناك بعض أعضاء الحركة لا تزال أسماءهم السرية معروفة للعديد من زملائهم.

٣- المراحل التي حددتها الحركة لتنفيذ الصورة الإنقلابية:

كانت حركة تحرير ارتريا قد حددت المراحل التي ستمر بها حتى الوصول إلى مرحلة الثورة الانقلابية على النحو التالي:

أ- التأسيس.

ب- التوسع والانتشار.

ج- التركيز.

د- التنفيذ.

والذين عاشوا تلك المرحلة من الأجداد والآباء يعرفون جيداً بأن الأرضية لم

تكن ممهده لعمل الحركة. فقد كانت الأرضية التي سنتحرك عليها مليئة بالألغام، والتحرك فوقها كان يحتاج إلى حذر شديد. فقد كان هناك الشرخ الواضح في الصف الوطني بين الطائفتين المسيحية والإسلامية والذي قام المستعمر الأثيوبي بصنعه وتعميقه بل وتقنينه. وزاد على ذلك بوسائله الخبيثة بالمزيد من الخطوات التمزيقية لشعبنا بتشجيع النعرات الاقليمية والقبلية. وكانت وسائله هي تنفيذ سياسة (فرق تسد). ولعبة الكراسي والمناصب الوهمية.. وتقريب هذا وأبعاد ذاك.. وتوزيع الابتسامات لطرف وإظهار التكشيرة أمام طرف آخر.. وفي النهاية تحريك الجميع بخيوط رفيعة لتنفيذ مآربه وسياساته الخبيثة.

وفي بداية تطبيق الفيدرالية التي جاءت عرجاء من أساسها إنخداع بها البعض واعتبرها إنجازاً وطنياً وهلل وكبر لها. ولم يمض وقت طويل حتى اتضح للجميع إنها بداية لاستعمار جديد وكانت تلك صدمة كبيرة. ففي أيام الاحتلال البريطاني لارتريا اعتادت الجماهير على حريات نسبية سلبت منها بشكل كامل منذ دخول الفيدرالية حيز التنفيذ. فقد انعدمت الصحافة وحظرت الأحزاب السياسية والنقابات العمالية. وحرم شعبنا من أي نوع من أنواع حريات التعبير الأساسية وسادت حالة ظلام شامل. وكانت تلك صدمة أخرى.

بالإضافة إلى ذلك فقد نشر الأثيوبيون حالة عامة من الذعر والخوف. فقد كانت عيون وآذان المخابرات الأثيوبية مدسوسة في كل مرفق ترصد وتحصى كل ما يقال. لقد خلقوا دولة مخابرات بحق وحقيقة. العملاء منتشرون في المقاهي والمطاعم والبارات والشوارع والفنادق وحتى في كل وسائل المواصلات من قطارات وباصات. وهناك المتطوعون بالتجسس لحماية أنفسهم أو لتحقيق مصالح خاصة بالاقتراب من السلطة وإظهار الولاء لها تطوعاً. وكل من كان في موقع عام أو وظيفة كان حريصاً ألا

يفقدها. وحتى من تناقشه من هذه الفئات كان متحفظاً ولا يدلى برأيه أو قناعته خوفاً على نفسه أو وظيفته فالتقارير السرية كانت تجمع حتى بما يدور في الجلسات الخاصة، وتكون سبباً في التنكيل والحرمان. وكانت تبني على ذلك أحكامها أو تقييمها لأي شخص. كما أنها كانت تشجع أسلوب الوشايات والبلاغات الكيدية.

والادهى والأمر فأن أثيوبيا كانت تنفذ مخططاتها وسياستها وأعمالها القذرة من مراقبة ومتابعة واعتقالات وتعذيب بايدي ارترية من المرتزقة والخونة والباحثين عن المناصب الوهمية والسلطة الزائفة، تلك الفئات التي كانت عناصر التنفيذ لكل عهد سواء كان الإيطالي أو البريطاني ثم الأثيوبي أخيراً. وهذه الوضعية خلقت حالة من فقدان الكثيرين الثقة بمن حولهم. وتأكيداً لهذه الحالة أتذكر قصة جرت لي في مدينة كرن في مرحلة تأسيس الحركة. فقد زرت شخصاً كنت اسمع عن شجاعته واتوسم فيه موقفاً ضد اثيوبيا، زرته في منزله حيث استقبلني وجلسنا منفردين في إحدى غرف منزله. وبدأت اشرح له نوايا اثيوبيا وجرائمها وضرورة التحرك لعمل ما ضدها. واسترسلت في الشرح والتوضيح دون أن أذكر له شيئاً عن فكرة الحركة. وظل بدوره صامتا يتفرس في وجهي دون أن ينطق بكلمة حتى أعتقدت بأنه اقتنع بكلامي وتعشمت في تجنيده للحركة بعد أن اسمع رد فعله على كلامي. وعندما انتهيت من الحديث بدأ بالرد قائلاً: (أنظر إلى هذا الحائط أن له آذان تسمع كل ما قلته. وإذا استمريت فيما تنوي القيام به فإنني سأكون أول من يبلغ السلطات الأثيوبية بأمرك.. عليك ألا تثق بأحد. كما عليك بالعودة إلى السودان الذي جئت منه والمحافظة على أكل عيشك). بالطبع أن كلماته كانت كفيلة ببعث الخوف. ولم تكن تلك حالة فردية بل كانت حالة عامة بفعل الإرهاب والذعر الذي سببه الاثيوبيون في نفوس شعبنا آنذاك.

كانت هذه هي الأرضية التي كنا مطالبون بالتحرك فوقها وغرس البذرة الأولى للثورة الارترية في أعماقها. وكما اسلفت القول فأنها لم تكن أرضية ممهدة وبكل المعايير. ولكن كان لابد مما ليس منه بد. فقد قررنا أن نسلك طريق الحرية الذي لا يعرف المستحيل مهما كانت المصاعب والأهوال. ومما شجعنا على ذلك، فبالرغم من حالة الرعب والخوف العام الذي كان الأثيوبيون قد نشروه وهو ما كان ظاهراً في السطح العام، إلا أننا كنا نلاحظ بأن ما يدور في صدور الكثيرين وما كانوا يعبرون عنه يؤكد بأن حقيقة شعبنا كانت مثل حالة المرجل الذي يغلي وهو على أبواب الانفجار. ورغم أن البعض كانوا يحاولون أن يثنوننا عن عزمنا وينقلون إلينا حالة الخوف التي يعيشونها فإن آخرون على العكس منهم كانوا يملآوننا أملاً وثقة بالنفس. وعلى سبيل المثال أذكر حالات ثلاثة ظلت مطبوعة في ذهني وكانت قد صادفتني في الأيام الأولى لتأسيس حركة تحرير ارتريا. كانت الحالة الأولى في عام ١٩٥٩م وفي مدينة كرن عندما زرت الشيخ آدم قدوف في منزله مع أحد أصدقائه. ولم تكن هناك أي معرفة سابقة بيني وبينه سوى أنني كنت أسمع عنه بأنه من الشباب الذين كانوا يناضلون أيام الحركة الوطنية. ومن جانبه بالتأكيد لم يكن يعرفني أو حتى سمع باسمي. وعند دخولنا لمنزله استقبلنا بالترحاب وأحضر لنا شايا باللبن على وجه السرعة ثم الفطور لأننا كنا قد زرناه في حوالي الساعة السادسة صباحاً. وعندما أحضر القهوة بعد الإفطار قلت في نفسي لماذا لا تختبر هذا الشخص؟ وعلى الفور بدأت حديثي قائلاً: (إنني حضرت من السودان عن طريق قرورة سيرا على الأقدام حتى نفقة. ومنها بالسيارة إلى كرن. وخلال رحلتي الطويلة التي استغرقت عشرة أيام كنت اختلط بالمواطنين وأسألهم عن أحوالهم. فوجدتهم كلهم يعبرون عن الشكر والامتنان لأثيوبيا التي وفرت لهم كل شيء من العيش الكريم والأمن والأمان).

وسكت عن الحديث لأرى ردة فعله على كلامي. ومن جانبه ودون حذر رد على كلامي قائلاً: (أن من اختلطت بهم واستمعت إلى آرائهم هم من سكان الريف الذين لا يعرفون ما يدور في ارتريا. أن أثيوبيا لم توفر لنا شيئاً ولكنها بدأت تأخذ منا كل شيء) وبعدها دخلت معه في مناقشة جادة وكان قد أصبح عضواً بالحركة.

أما الحالة الثانية فقد كانت مع الشيخ كنتيباي هداد ابن كنتيباي عثمان واعتقد كانت في عام ١٩٦٠م عندما دخلت إلى ارتريا عن طريق كسلا- تسنى فوصلت إلى نفقة ليلاً ونزلت ضيفاً عليه. فوجدته مع بعض زائريه. وفي الحال احضروا لي شايا وأثناء ذاك ودون حذر بدأت حديثي قائلاً: (الحمد لله أن الأحوال في هذا البلد تسير على ما يرام). فسألني كنتيباي: كيف عرفت ذلك؟ فأجبته: (إنني دخلت ارتريا عن طريق تسني. وكل المدن التي مررت بها رأيت فيها مشهداً واحداً لا يتغير وهو بناء للمنازل والدكاكين. وآخر المدن التي شاهدتها عصر اليوم كانت مدينة افعبت حيث رأيت عملية البناء مثل باقي المدن. وهذا ما جعلني استنتج بأن الأحوال على ما يرام ما دامت هناك عملية بناء لمنازل ودكاكين). ولم يزد كلمة أخرى ولم أحاول أن أضيف أو أعلق على كلامه، فقد فهمت ما كان يقصده. وكان ذلك ما حدث عندما حولت أثيوبيا كل المدن إلى انقاض. وحتى المنزل الذي كان فيه الشيخ كنتيباي هداد في مدينة نفقة والذي دار فيه الحديث الذي اشرت إليه شاهد على ذلك حيث حولته الغارات الجوية الأثيوبية إلى خرائب ودمرته عن أخره ضمن كل المساكن والدكاكين في مدينة نفقة. وبعد مرور سنوات طويلة وقبل التحرير التقيت بالشيخ كنتيباي هداد واعتقد أن ذلك كان في عام ١٩٧٨م فسألته أن كان يتذكر الحديث الذي دار بيني وبينه بمنزله في نفقة فأجاب (كيف انساه. فقد كنت تحاول أن تعرف موقفي من أثيوبيا). رحمه الله كان يتمتع بفراسة وموقف وطني ثابت لأنني عندما زرته قبل وفاته بفترة وجيزة عام

١٩٩٣م بمنزله بنفقه وهو على فراش المرض، كانت آخر كلماته لي وبحضور بعض الزوار هي الوصية بالوحدة والتماسك وبناء البلد.

أما الحالة الثالثة فقد كانت مع الشيخ عثمان هنتولاي والذي كنت أحتمى به بل وهو الذي كان يقوم بحمايتي أثناء زياراتي لارتريا. فقد كان من كبار الموظفين. وفي أول زيارة لي إلى اسمرا كان يعمل في مكتب ممثل الإمبراطور باسمرا. ومن جانبي نزلت بأحد الفنادق إلا أنه أخذني من الفندق وأسكنني في منزله وظل ملازماً لي حتى انتهيت من مهمتي وعدت إلى السودان. وفي مرة ثانية وكان مسئولاً عن مكتب الهجرة والجوازات في مدينة مصوع. ومن جانبي نزلت بمنزل بعض أعضاء الحركة من المدرسين بمصوع. واعتقد أن ذلك كان أيضاً في عام ١٩٦٠م. فعندما وجدني الأخ هنتولاي بالصدفة سائراً في الطريق برفقة المدرسين سألني عن مكان منزلي. وعندما أخبرته بذلك سحبني من يدي إلى منزله وطلب من العاملة بالمنزل أن ترافقنا إلى حيث كنت أنزل. وهناك سلمها شنطتي وطلب منها أن تأخذها لمنزلة. وقال لي: (ستكون ضيفاً بمنزلي لحين أن تغادر مصوع). وكان ذلك ما حدث لأنه كان يعرف طبيعة النشاط الذي كنت أمارسه دون أن أشرح له ذلك.

بالطبع ليست هذه هي الحالات الوحيدة التي صادفتني والتي كانت تؤكد لي بأن شعبنا بخير. وليس كله يعيش حالة الذعر والخوف بل لديه كل القابلية ليتحدى الوجود الأثيوبي متى ما وجد التنظيم الذي يتصدر الصفوف ويعبر عن طموحاته ومشاعره الحقيقية في التحرر من عبودية أثيوبيا.

والآن نعود إلى الموضوع الأساسي وهو: المراحل التي حددتها الحركة لتنفيذ الثورة الانقلابية. لقد كان طرح وعمل الحركة مبسطاً للغاية ودون أي تعقيدات. وقد كان الأقرب إلى فهم الجماهير وأحاسيسها. فلم نكن نبشر إلا بما هو موجود

في وجدان الجماهير. ولذا كان القبول الفوري بما تطرحه الحركة والالتفاف- من حوله. كنا دائماً نحاول فهم الواقع والتعامل معه. وفي هذا كنا حذرين للغاية بالا نغرق الجماهير الارترية في متاهات من الشعارات الهلامية التي يصعب فهمها وتحديد مضامينها وذلك بنقل تجارب الآخرين الأمر الذي قد لا يجد الأرضية الصالحة وسط الجماهير الارترية.

أن حركة تحرير ارتريا ومنذ مرحلة التأسيس وهي المرحلة الأولى للنزول للجماهير الارترية في المهجر والداخل حددت هدفين كان لابد من انجازهما وهما:

١- القضاء على حالة الخوف والذعر العامة التي نشرها الأثيوبيون وسط شعبنا.

٢- إزالة حاجز الشك والريبة بين الطائفتين الإسلامية والمسيحية من شعبنا وذلك بجمعهما حول قضايا وطنية واحدة وواضحة لهما جميعاً بحيث تجمعهما في صف واحد.

وللوصول إلى هذين الهدفين كان لابد أن نحدد القضايا التي نطرحها في أسلوبنا لمخاطبة الجماهير الارترية قاطبة. وقد حددناها في النقاط التالية.

١- شرح عدالة القضية الارترية والتأكيد بأن ارتريا من حقها أن تفوز باستقلالها الوطني اسوة بباقي شعوب العالم.

٢- التركيز في عملنا الدعائي بأن اثيوبيا ليس من حقها إرسال جيشها ليحل محل القوات البريطانية ويتمركز في ارتريا لأن هذا لا وجود له في الفيدرالية. كما أن الأمن الداخلي هو من اختصاص الحكومة الارترية وأن الشرطة الارترية كفيلة به.

٣- ليس من حق الإمبراطور هيلا سلاسي أن يرسل ممثلاً له إلى ارتريا لأن العلاقة تكون مباشرة بين الحكومتين الارترية والأثيوبية وليس عبر ممثل الإمبراطور

الذي اعتبر نفسه السلطة العليا في اريريا.

٤- شرح وفضح التخريب الاقتصادي الذي مارسه الأثيوبيون وكانت نتائجه الظاهرة هي العطالة والتشريد للعاملين. وكانت تلك من النقاط الحساسة التي يلمسها كل مواطن ارتري في حياته اليومية حيث كانت ارتريا مزدهرة نسبياً قبل حلول الأثيوبيين بها.

٥- الدستور الارتري غير مطبق وبالذات في باب الحريات الأساسية المنصوص عليها في الدستور ولا وجود لها في التطبيق العملي.

٦- الأثيوبيون يلتهمون النظام الفيدرالي من أطرافه حتى يبتلعونه بكاملة ويحولوا ارتريا إلى مستعمرة تابعة لهم.

٧- متابعة أعمال أثيوبيا وجرائمها وكشفها أولاً بأول.

كانت هذا هو خاطبنا السياسي في مرحلة التأسيس الذي نزلنا به للشعب الارتري على اختلاف طوائفه وأقاليمه وقبائله الأمر الذي بدأ يوحدهم حول قضية واحدة وضد عدو واحد. وبدأت مرحلة التأسيس بخلق خليه والتي كنا نطلق عليها اسم (تشكيلة)، خلق خليه للحركة في كل مدينة. وهذه الخلية تقوم بتجنيد خلايا سباعية على أن تعتبر الخلية الأولى هي القيادة الفرعية. وكل خلية سباعية مهمتها خلق سبع خلايا تحتية. وهكذا تنشطر الخلية الواحدة لتنتج سبعة خلايا. وهذه كانت مهمة كل خلية تنشأ. وبهذا بدأ التوسع والانتشار في كل قرية ومدينة ومدرسة ومؤسسة ومصلحة ووزارة وهلمجرا. وانتشرت الحركة كالنار في الهشيم لتعم كل أنحاء ارتريا من أقصاها إلى أدناها. ووجد الارتريون أنفسهم يتحدثون لغة واحدة ويعزفون لحناً ونغماً واحداً. ويجمعهم تنظيم واحد وتتجه أنظارهم لهدف مشترك أمام عدو واحد أصبح محدداً ومعروفاً لديهم بدلاً من بعثرة جهودهم واهتماماتهم في معارك جانبية.

أما عن مرحلة التركيز التي حددتها الحركة فكانت تعنى بها الاستعداد للتنفيذ. والتنفيذ كان معروفاً بتفجير الثورة الانقلابية التي سيأتي شرحها. وكانت التنفيذ يعنى أولاً إعداد قواتنا التي ستقوم بتنفيذ الثورة الانقلابية. وثانياً عمل اتصال خارجي ببعض الحكومات الموثوق بها لتقوم بتأييد ثورتنا الانقلابية والاعتراف بدولة ارتريا المستقلة التي كنا سنعلنها. وثالثاً تحديد ساعة الصفر للتنفيذ.

كانت تلك هي المراحل التي حددتها الحركة لتنفيذ ثورتها الانقلابية.

٤- الثورة الانقلابية:

منذ بداية تأسيس حركة تحرير ارتريا وصلنا إلى قناعة راسخة بأن حل القضية الارترية لن يأتي من الخارج. فبالنسبة للأمم المتحدة لم نكن نراهن عليها خاصة بعد أن درسنا ما قامت به عندما ربطتنا بإثيوبيا فيدراليا وأدخلتنا في نفق مظلم. وعليه فقد توصلنا إلى قناعة راسخة بأن حل القضية سيكون من داخل ارتريا وبواسطة شعبنا.

عندئذ برز أمامنا سؤال كبير وهو كيف سنزيح القوة الأثيوبية التي حلت محل القوة البريطانية التي جلت عن ارتريا؟؟ والسلطة المدنية التي أقيمت بموجب القرار الفيدرالي في ارتريا وأصبحت سيفا مسلطاً على شعبنا، وكيف إقناعها بخطوتنا؟؟

أيضاً برز أمامنا عامل هام. فبعد أن درسنا الوضع السياسي الذي كان قائماً في ارتريا آنذاك تأكدنا بما لا يدع مجالاً للشك بأن أثيوبيا تسعى للقضاء على النظام الفيدرالي وضم ارتريا إليها لتصبح جزء لا يتجزأ من أرضيها ولم نجد صعوبة للوصول إلى هذه الحقيقة من خلال الإجراءات العديدة التي كانت تقوم بها حكومة الإمبراطور هيلاسلاسي بابتلاعها في كل مرة جزء من أجزاء النظام الفيدرالي وتجريد الحكومة الارترية من سلطاتها وصلاحياتها شيئاً فشيئاً.

من هنا تبنينا هدفنا المعرف بإلغاء النظام الفيدرالي وإعلان استقلال ارتريا وكنا نردد بأننا في سباق مع الزمن. فأما أن تسبقنا أثيوبيا وتلغى الفيدرالية وتقوم بضم ارتريا إليها، وإما أن نسبقها ونقوم بإلغاء الفيدرالية ونعلن استقلال ارتريا.

ولتحقيق هدفنا لم يكن أمامنا سوى طريق الثورة المسلحة وهذا ما اقتنعنا به خاصة أننا كنا نعرف ونتابع الثورات في القارات الثلاثة وأخبارها والملاحم التي كانت تخوضها تلك الشعوب. ومن هنا حددنا طبيعة الحركة بإنها (ثورية) وثبتنا ذلك في لائحتها. وذلك من خلال قناعتنا بأن النظام الأثيوبي المستند في وجوده في ارتريا على القوة الغاشمة لا يمكن أن تواجهه إلا بقوة ثورية. وأمام هذا الخيار كما نصطدم بمجموعة تحديات أبرزها:

١- قضيتنا لم تكن معروفة عربياً وأفريقيا ودولياً.

٢- الثورة المسلحة طويلة الأمد كان من مستلزماتها دعم عسكري ومادي وسياسي من الخارج وهذا لم يكن متاحاً لنا آنذاك.

٣- لم تكن هناك التعبئة والتوعية والتهيئة الكافية وسط شعبنا.

٤- كنا في سباق مع الزمن أمام مخططات أثيوبيا الرامية لابتلاعنا في وقت وجيز. هذه المسائل نوقشت بشكل مستفيض. وأخيراً هدانا تفكيرنا ومن خلال واقعنا إلى الثورة الانقلابية. وكنا قد سجلنا في تحليلاتنا بأن هذه ستكون تجربة فريدة في العالم فهناك انقلاب عسكري.. وهناك ثورة مسلحة طويلة الأمد... ولكن (ثورة انقلابية) كان مصطلحاً ومفهوماً جديداً.

والثورة الانقلابية التي تبنيناها كانت تعنى الآتي:

١- كان من أهم شروط الثورة الانقلابية اختراق كل أجهزة أثيوبيا وتجنيد رجال

الإدارة الارترية التي كانت قائمة من شرطة وخدمة مدينة وخلافها.

٢- إحصائية دقيقة للقوة الأثيوبية ومعرفة تفاصيلها بحيث يتم شلها في الوقت المناسب. وفي الوقت ذاته عمل إحصائية دقيقة للشرطة الارترية والقوة التي سنعتمد عليها في مواجهة القوة الأثيوبية:

٣- انتشار الحركة في كل جزء من أجزاء ارتريا وقيامها بتعبئة الجماهير وتهيئتها بحيث تكون سنداً قوياً للثورة الانقلابية عند اندلاعها.

٤- عندما نقوم بتوفير الشروط المطلوبة لإعلان الثورة الانقلابية نعلن على العالم إلغاء النظام الفيدرالي ونقوم بإعلان استقلال ارتريا.

٥- ولا نجاح الثورة الانقلابية كان سلاحنا هو السرية المطلقة لكل أنشطتنا وتحركاتنا بحيث نفاجئ أثيوبيا بما لم يكن في حسبانها.

عندما تكاملت هذه الرؤيا أمامنا وتبنيناها برزت أمامنا نقطة هامة وهي نقطة الضعف التي كانت محسوبة. وهي وجود سلاح الطيران الأثيوبي. فقد تأكدنا بأن أثيوبيا ستواجه ثورتنا الانقلابية بسلاح طيرانها ويكون معززاً بزحف أرضي من جيشها الذي ستحركه باتجاه ارتريا. وفي هذه الحالة وعندما لم نتمكن من مواجهة سلاح الطيران والتعزيزات الأرضية كنا مقررين أن نخرج بكل قواتنا وبما استولينا عليه من أسلحة وإمكانيات إلى الجبال للاستمرار في ثورة مسلحة طويلة الأمد نكون قد حشدنا لها قوة من شعبنا ومن قوات الشرطة الارترية وفي الوقت ذاته نكون قد أسمعنا العالم بقضيتنا وبالتالي يسهل حشد تأييد مادي ومعنوي وسياسي لثورتنا من الخارج.

باختصار كانت تلك هي (الثورة الانقلابية) التي تبنتها حركة تحرير ارتريا منذ ميلادها وأخضعت كل أنشطتها وتحركاتها وأساليب عملها لإنجاحها. وحسب

قناعتنا وحساباتنا آنذاك، واندفاع الحركة خلال العامين الأولين من تأسيسها وتغلغلها في كل مفاصل المجتمع الارتري، فقد كانت هناك إمكانية كبيرة لنجاح الثورة الانقلابية لولا قيام جبهة التحرير الارترية وتدخلاتها والتشويش والتخريب الذي مارسته ضد الحركة الأمر الذي نبه المحتلين الأثيوبيين لما كنا نقوم به من الأنشطة السرية. وأدى ذلك إلى انتفاء أهم شرط من شروط الثورة الانقلابية وهي السرية المطلقة التي كنا نحافظ عليها ونلتزم بها قبل ميلاد جبهة التحرير الارترية والتي بدأت أول عمل لها بتعرية وكشف كل شيء.